تسامحٌ منهم ، والمراد أنه أدى الغرض ، فأما أن يؤدي المعنى بعينه ، وعلى الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلته هناك ، وحتى يكون حال الصورتين المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين – ففي غاية الإحالة ، وظنٌّ يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة .»[1]

ومن هذا المنطلق يرفض عبد القاهر أن تقوم المقارناتُ الدلالية بين العبارات المفردة المنبَّتة عن سياقها ، دون مراعاة لخصوصية كل عبارة ، وارتباطها بالطبيعة التركيبية فيها ؛ لأن بين كل عبارتين مفارقة مستمرة ترجع إلى خصوصية الأداء النحْوي في كل منهما ، فلا وجه – إذا – لتلك المقارنة التي شغف بها النقاد القدامى بين قوله تعالى : ﴿ ولَكُمْ في القصاص حَياة ﴾ ، وقول الناس : (قتل البعض إحياء للجميع) ؛ فإنه وإن جرت عادة الناس بأن يقولوا في مثل هذا إنهما عبارتان معبرهما واحد ، فليس هذا القول قولا يمكن الأخذ بظاهره أو يقع لعاقل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر [2] .

وإدراك الدلالة لا يمكن أن يتحقق من مجرَّد العِلْم بالألفاظ وما ترمز إليه؛ لأنها لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، وإنما يتحقق ذلك من خلال المعاني وما بينها من علاقات ، وهذه العلاقات في حقيقتها ليست إلا معاني النحو ، وإذا أردنا الوصول إلى الدلالة فعلينا أن ننظر إلى التراكيب من حيث كونها علامات جزئية من ناحية ، ثم من حيث علاقاتها الداخلية المرتبطة بالاحتمالات النَّحْويَّة من جهة أخرى .

---

(١) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦١ .